



وَقَعَتْ أَوْلَى هُزِيمَةِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أَحَدٍ وَفَرَحَ الْعُدُوُّ "قَرِيشٌ" بِإِنْتِصَارِهِمْ وَشَمَتُوا وَأَخْذَتْهُمْ نَشْوَةُ الْفَرْحَةِ وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ رِيشَهُمْ فَجَمَعَتْ قَرِيشٌ نَفْسَهَا عَنْ بَكْرَةِ أَبِيهَا وَمِنْ وَرَائِهَا غَطْفَانٌ وَهَوَازِنٌ وَغَيْرُهُمَا وَسَارُوا نَحْوَ الْمَدِينَةِ مِنْ كُلِّ حَدْبٍ يَنْسَلُونَ وَإِذْ بِهَذَا الرِّيشِ يَتَنَاثِرُ وَهَذَا الْجَمْعُ الْمُنْتَفَخُ بَاتْ كَفَقَاعَةً صَابُونَ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى فَقَدْ أَلْقَى اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الْرُّعْبَ وَجَاءَهُمْ جَنُودُ رَبِّكُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَسْفَلَهُمْ "وَمَا يَعْلَمُ جَنُودُ رَبِّكُمْ إِلَّا هُوَ" وَرَسَمَ الْكَرِيمُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَقْطَةَ الْبِشَارَةِ وَالْإِسْتِعْدَادِ "الآنَ نَغْزُوْهُمْ وَلَا يَغْزُونَا" وَكَانَ فَتْحُ مَكَّةَ!

وَتَدُورُ أَهْدَافُ التَّارِيخِ فَقَدْ زَحَفَتْ جَحَافِلُ الْمُغْوَلِ تَدِكُ الْأَرْضَ دَكًا حَامِلِينَ مَعَهُمْ خَصَائِصَهُمُ الَّتِي امْتَازُوا بِهَا وَهِيَ سُفكُ الدَّمَاءِ وَتَدْمِيرُ الْبَنَاءِ وَحَرْقُ الْمَزَارِعِ وَإِشَاعَةُ الذَّعْرِ وَالرُّعْبِ وَالْهَمْجِيَّةِ الْحَيْوَانِيَّةِ. وَكَانَ الْمُغْوَلُ مِنَ الْوَثَّابِينَ وَمِنْ عَبْدَةِ الشَّرِّ وَالشَّيَاطِينِ وَاعْتَقَ بَعْضَهُمْ - وَهُمْ قَلْهَ - الْدِيَانَةِ الْبَوَذِيَّةِ أَمَّا الْغَالِبَيَّةُ فَكَانَتْ تَرَى أَنَّهُ لَا يَسُودُ الْبَشَرُ غَيْرُ الْمُقَاتِلِ الشَّرِسِ الَّذِي لَا يَعْتَنِقُ أَيَا مِنَ الْدِيَانَاتِ السَّمَاوِيَّةِ. ثُمَّ أَيَقَظَتْ صِيَحةُ إِسْلَامِهِ وَجَدَانَ النَّاسِ !!

وَكَانَتْ صِيَحةً وَاحِدَةً صَادِقَةً قَلَبَتْ الْأَوْضَاعَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مِنْ عَمَرِ الْزَّمْنِ الْهَائلِ وَانْتَصَرَ إِلَيْهِ إِسْلَامُ وَكَانَتْ هُزِيمَةُ الْمُغْوَلِ وَهُمُ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ طَعْمَ الْهُزِيمَةِ مِنْذَ خَرُوجِهِمْ مِنْ غَربِ الصَّينِ إِلَى عَيْنِ جَالُوتِ فِي فَلَسْطِينِ وَأَمَّا الْهُزِيمَةُ يَقْفَوْنَ فِي ذَهُولٍ وَتَوْلِدُ فِي نَفْوسِهِمْ لَذَّةُ الْحَيَاةِ وَاطْمَئْنَانُ الرُّوحِ بَعْدَمَا كَانُوا "كَالْأَنْعَامِ بِلَهُ أَضَلُّ" بَعْدَ ضَيَاعِ الْقِيمِ وَانْحلَالِ الْجَسْدِ وَخَوَاءِ الرُّوحِ كَانُوا يَحْصُدُونَ الرُّؤُوسَ وَيَعْيَثُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادُوا وَنَهَبُوا وَإِحْرَاقُوا وَتَشْرِيدُوا وَتَعْذِيبُوا بِلَا هَدْفَ أَوْ غَايَةَ أَوْ مَنْهَجَ أَوْ

قانون سوى قانون الغاب ولبس الشياطين وكانت الهزيمة هي الحد الفاصل لذلك كله فاعتنقوا الإسلام واجتمع الذين والحمل في مكان واحد بل إن الذين أفسنوا في الحمل حيث أن التيار كما يقول الباحث النصراني سيتون لويد " عملوا على هضم ما تبقى من المدينة التي دمروها واندمجوا في جمع العالم الإسلامي ولم يبق لهم كيان قائم بنفسه بالمرة ". لقد قلبوا صرخة وإسلام المواذن والأوضاع فقد عز المسلمين بعد ذل وفتحت آلافا من القلوب دون إكراه أو ضغط أو إرهاب !!

وانطلق التيار يدخلون في الدين الجديد حتى صاروا من حماته المجاهدين ودعاته المنتشرين في الأرض للخير والسلام والهدى والسعادة الحقيقة . إنها حالة معاكسة للغالب والمغلوب لا اثر فيها مطلقا للقسر العقدي وإنما حرية الاختيار وإغراء الإسلام نفسه هي التي قادت أن يقف التيار وقفه صادقة أمام هزيمتهم فيدينون بالإسلام ويتسبّلون بحضارته وعقيدته التي صاغت هذه الحضارة ويقبلون لغته ونظمها .

وهجم الصليبيون في حملات عدّة وأقاموا في بايئ الأمر دويلات لهم في بقاع العالم الإسلامي وجاء صلاح الدين فتوجّه إلى إصلاح عقيدة الناس واتخاذ الأسباب وكان النصر في طجين فعاد بيت المقدس وارتّفعت الآذان عليه بعد انقطاع دام تسعين عاما وكانت هزيمة الصليبيين وفشلهم في تحقيق أماناتهم الخاوية على عروشها .

وهذه الهزيمة هي التي قادتهم إلى عالم الحضارة ، وبناء نهضتها على أساس مستمدّة من الإسلام فقد فوجئت أوروبا الغريقة في سبات القرون المظلمة بنور الحضارة الإسلامية فانبهرت به وأحسّت بواقعها المرير تحت ضغط الكنيسة التي جثّمت على فكرها وشعورها وسلوكها واستيقظ العقل الأوروبي من سباته وأخذ يقتبس عن المسلمين طرائق البحث ومناهج التفكير وثارت ثائرة رجال الكنيسة على الحركة العلمية المستمدّة والمنقوله من المدارس الإسلامية وكتب العلم الإسلامية وكانت تحمل معها روح الإعجاب الشديد بالإسلام وال المسلمين وخشيت الكنيسة من انتشار النفوذ الإسلامي مع الحركة العلمية فأعلنت حالة الطوارئ ضدها وشكلت محاكم التفتيش في كل مكان تهدّد المخالفين لعلمها المقدس بالتحريض والتعذيب والقتل .

وقامت الحرب العالمية الأولى والثانية للقضاء على الخلافة العثمانية وتم إزالتها على يد أتاتورك وسد الظلام واليأس ربع العالم الإسلامي يومئذ ثم وفي الحدث ذاته كانت البداية ليقظة جديدة وبعثت جديد على يد شاب جاوز العشرين قليلاً حسن البنا .

إنها سنن كونية وراء كل هزيمة وإخفاق للمسلمين انتفاشا للباطل وزهوا، مؤدياً هذا الانتفاض والانتفاح إلى تمحیص الصف الإسلامي فيتغربل ويصفو من المرض والنفاق والنفعيين الماديّين، كما أن هذه الفقاعة - وفق السنن الربانية - تستشعر بقزامتها، وضياعها وخواصها مقابل الأمان النفسي والعزّة والعلو لدى المسلم فيبحث من يبحث ومن ثم يتسبّل بنظرية الإسلام للكون والإنسان والحياة .. ويبقى من يبقى على كفره وعميه وضلاله .. وفي إزاء هذا التحرب من الكفر والنفاق ومرضى القلوب تأتي البشرة .. بشارة النصر والعزّة والتمكّن .

وبقدر من الله انطلقت الثورة السورية فعاد الشعب لفطرته النقية الصافية ، ويساء الله أن تكون هذه الثورة المباركة هي الخط البارز في مستقبل البشرية ..

لقد ولد الأعداء وماتوا ، وظهرروا واحتفلوا ، وضرب المسلمين ضربات موجعة وأصابتهم هزائم متكررة وبقي الإسلام هو الإسلام يزداد قوة ويدا .. ولم تكن تلك الهزائم نهاية الوجود الإسلامي فكلما زحفت جحافل الهمجية وسالت الدماء الزكية النقية كلما تربى جيل يهزمهم بتدبّر رباني وكل الحروب التي حدثت في التاريخ ضد الإسلام وكل المحاولات لطمسه أدت إلى تربية جيل جهادي أصلب عدوا وأكثر وعيًا بحقيقة المعركة فتهزمها ، وفي كل المعارك التي دارت بين المسلمين وأعداء الإسلام كان المغلوب - أعداء الإسلام - ينهضون بحضارة ويندوّبون في المجتمع الإسلامي ثقافة وخلفاً وسلوكاً وفكراً !! وإذا

لم يذوبوا تشربوا حضارته وسموه ..

وفي كل المعارك التي هزم فيها المسلمين كانت أرواحهم عالية لم تذل "ولا تهنو ولا تحزنوا وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين" وهذا هو الفارق فيما بين هزيمتنا وذلنا واستسلامنا وهزائمهم فلم تكن قريش أو التتار أو الصليبيين في نظرهم خيراً منهم وأفضل بسبب الغلبة.. ووقف المسلم صاغراً مستسلماً ذليلاً ولكن كان هو الأعلى فروره لم تذل وثقته بالله لم تتزلزل .. وبالتالي كانت الهزيمة تقود إلى نصر للإسلام وفتح لقلوب الكفار فيسلمون "الله ابتعثنا لخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة"

وفي ظل أحداث هذه الثورة المباركة التي مكنت للصحوة الإسلامية، ولبلاد الشام مكانتها وقيمتها وجودها ، وجعلت منها خطاباً بارزاً في مستقبل البشرية ، يجب على الثوار والمجاهدين - بكافة فصائلهم وألوائهم - والعلماء والدعاة - بكافة اختصاصاتهم - والائلاف الوطني والمعارضة في الخارج الاعتصام بحبل الله والعمل معاً في خط واحد بحكمة وعدم تعجل ، وتوقع المزيد من ضربات الوحش والعالم من خلفه دون إرجاف أو إحباط أو يأس .. ويجب الإيمان أنه رغم هذه الضربات هناك العمل والعدة " وأنعوا لهم " .. والعزة والاستعلاء وعدم الذلة الروحية والنفسية والانكسار، فهذا ما يريد الغرب والشرق من هذه الثورة المباركة أن تنكسر وان تخضع لهم وان تكون ذيلاً لهم .. وهناك "ولا تهنو ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين" فلم تكن الهزائم العسكرية سبباً في هزائمنا ولم يكن للفارق الحضاري المادي أثراً يذكر في هزيمتنا وإنما خلل الإيمان والنظر إلى أعدائنا نظرة علو وانبهار.. فمن هذا الوحش؟ ومن هم الشبيحة؟ ومن هم النصيرية؟ ومن هم حزب اللات؟ ومن هي أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية؟ ومن هي روسيا؟ ومن هي الصين؟ .. وفي نفس الوقت من نحن؟

فإن خذلنا العالم فإن الله الخالق الجبار معنا.. وان ارجف المرجفون وثبط المثبتون فمعنا رسول الله رسول الهدى وبالبشرة والتفاؤل والأمل ..

وهناك الصبر " يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا "

وكذلك نشر الدعوة في صفوف الغرب وتوضيح حقيقة الثورة ، والحرية والعبوية والكرامة كما يريد لها رب العباد لا كما يريد لها شياطين العباد ، حيثما كانوا وأينما وجدوا " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن "

كما يجب على الشعوب الغربية أيضاً قراءة تاريخهم من جديد الماضي والحاضر بما هذه الحضارة التي ينعمون بها سوى قيس اقتبسه أجدادهم منا نحن المسلمين ..

وأخيراً نقول للعالم بأكمله شرقه وغربه .. وعلى رأسهم الوحش وحزب اللات وإيران ومجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة - هزم المسلمين في أحد وكان درساً بعده النصر والتمكين ..

وهرموا أيام التتار وكان درساً بعده النصر وذوبان التتار في الإسلام !!

وهرموا أيام الصليبيين وكان درساً بعده النصر واسترداد المسجد الأقصى وفلسطين وتطهير الأرض من الرجس !

وأيام الحرب العالمية الأولى والثانية تم محو الأم الرءوم الخلافة الإسلامية وكان درساً بعده الصحوة!

والقصير لم تهزم ولم تسقط، ولكنها الأيام كر وفر، ومن بعده بإذن الله وفي قدر الله المحدد يكون النصر.

قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرُكُمْ وَيُثْبِتُ أَفْدَامَكُمْ) (محمد:7)، فهذا وعد من الله الذي لا يخلف وعده ، وقال تعالى (وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (الروم:6)، فالوعد في هذه الآية بالنصر والتمكين للمؤمنين متحقق لا محالة.

وهناك وعد آخر بالعلو على الكافرين وهزيمتهم قال الله تعالى: (وَلَئِنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) (النساء: من

والله اكبير والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين

المصادر: